له دلالة كبيرة ، وستتضح دلالته والمقصود منه عندما نتناول تعريف البرنامج السياسي للحركة الصهيونية !

فما هو هذا التعريف ، وما هي علاقته بهذا الخطأ الصغير ذي الدلالة الكبيرة ؟

هل كانت الحركة الصهيونية عادلة وتقدمية ؟

قد يبدو هذا السؤال مثيرا للاستغراب ، نظرا لكون نشأة الحركة الصهيونية معروفة ، كأوضح ما تكون المعرفة ، لدرجة لا يجادل فيها اثنان من غير الصهاينة وحلفاء الحركة الصهيونية التي يصف لينين فكرتها بأنها تتسم بطابع رجعي جلي (٢٦) · ولكن هذا الاستغراب يتبدد عندما نطالع تعريف « البرنامج السياسي » للحركة الصهيونية ، ونتأمل مضامينه :

يقول البرنامج السياسي :

(في ظل التحول الامبريالي للرأسمالية العالمية ، وجدت الحركة الصهيونية التي نشأت في القرن التاسع عشر ، كتعبير سياسي قومي زائف عن طموح البرجوازية المتوسطة والصغيرة اليهودية ، الحرفية والصيرفية · وحتى تتفادى الاندماج في المجتمعات الرأسمالية القومية الناهضة التي كانت تهدد باسقاطها الى مصاف البروليتاريا ··· وجدت فرصتها الجدية الاولى لتحويل احلامها الطوباوية الرجعية الى وقائع استيطانية على ارض فلسطين · فلقد توافقت هذه المخططات الاستيطانية للمرة الاولى مع مصالح الرأسمال اليهودي الكبير وحاجته الى اكتساب مواقع وضمانات افضل في المنافسة على احتلال مواطن قدم للاستثمار والتصدير الى المستعمرات · كما توافقت أيضا مع حاجات الدول الاستعمارية ، وبشكل خاص بريطانيا ، الى بناء قواعد استراتيجية ثابتة تمكن من صيانة مشروعاتها الاستعمارية في المنطقة) (٢٧) ·

لنتأمل في هذا التعريف للحركة الصهيونية ، ولنتذكر مناقشتنا لاول سطر من سطور « البرنامج السياسي » تحت عنوان « خطأ صغير ، لكن دلالته كبيرة » ، ولنحاول معرفة ما يرمز اليه هذا الخطأ ، ولنكشف مضامينه الحقيقية المقصودة والمحاطة بغموض تعمدت الجهة التي صاغت « البرنامج السياسي » تكثيفه لغرض في نفسها · من تلك المناقشة لاحظنا ان الجهة التي صاغت « البرنامج السياسي » قد حرصت على الايحاء بأن عملية دخول الرأسمالية لمرحلتها الامبريالية قد « صاحبت » مطلع القرن العشرين ، و «ترافقت » معه، وان هذا القصد واضح من استعمال الفعل « دخل » والاسم « مع » الذي يعني « الاجتماع والمصاحبة » ، رغم انها تعلم ان عملية تحول الرأسمالية الى امبريالية قد استغرقت معظم زمن الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، وقد انتهت هذه العملية ، اي تحول الرأسمالية الى امبريالية ، في اواخر القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين كما اوضح لينين ··· لنتأمل في تعريف الجبهة الديمقراطية هذا جيدا ولنرى مدى مطابقته للوقائع التاريخية الدامغة ! :

اولا ـ البرنامج وتاريخ نشأة الحركة الصهيونية ·

يتضح من التعريف ان الحركة الصهيونية ، كانت موجودة قبل بدء عملية تحول الرأسمالية الى امبريالية ، ولكنها « وجدت فرصتها الجدية الاولى » في ظل عملية التحول الامبريالي للرأسمالية · ومما يعزز قصد « التعريف » هذا ، قول البرنامج السياسي : ان